جعل الجهاز المدرسي الجهاز المسيطر في اخضـــاع الافراد للايديولوجيـــا المسيطرة : اخضاع للافراد واخضاع لايديولوجيا الطبقات المسيطر عليها ايضا · لهذا فان كل التناقضات الايديولوجية التي تقوم ، في التحليل الاخير ، على تناقضـات الجهـاز المدرسي ، تصبح تناقضات خاضعة للشكل المدرسي ، وفي الشكل المدرسي ·

بدأنا نعرف الان تحت اي شكل تتجلى التناقضات الاجتماعية في الجهاز المدرســي ولا تستطيع هذه التناقضات الوجود الا داخل الوحدة الشكليـــة للمدرسة « الواحدة » و « الموحدة » ، وهي نتاج هذه الوحدة نفسها ، التي تنتج من تعايش جهازيـــن ، أو سلسلتين متناقضتين (١) : يمكن تسمية السلسلة الاولى بـ « الابتدائيـــة ـ المهنية » والثانية بـ « الثانوية ـ العالية » ، يضاف الى ذلك دور النظام في تحديد وحد « درجـة التعلم » والتي كان دورها في فرنسا ولمدة طويلة تجسيد هذه التناقضات في ماديتهـــا المباشرة ·

ينزع التقسيم المدرسي ، في مجتمع قائم على بيع وشراء قوة العمل الفردية ، الى اعادة انتاج تقسيم الطبقات الاجتماعية ، والى تأمين السيطرة الايديولوجية البرجوازية في الوقت ذاته تحت شكل قائم على الوحدة (الوحدة القومية بشكل خاص) ، ويتحقق هذا التقسيم أولا ومنذ أللحظة الاولى وخلال فترة التدريس كلها **كتقسيم لغوي** · وكي نكون واضحين بشكل كاف نقول : ان الشكل الموحد هو الوسيلة الاساسية للتقسيم وللتناقض · ان التقسيم اللغوي المحايث للنظام المدرسي ، يختلف عما يمكن أن نلاحظ في بعض التشكيـــلات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية ، فهو ليس تقسيما بين « لغات » مختلفة (« لغة الشعب ، اللغة العامية ···· و « لغة البرجوازية ») لكونه يفترض وجود **لغة مشتركة** ، بل تناقض **ممارسات مختلفة** للغة نفسها (١) · ويتطور على هذا الاساس التناقض بين الممارسات المدرسية (وبشكل خاص بين الممارسة « الابتدائية » للانشاء ـ والاستظهار والتي هـــي مجرد تمارين لتعلم اللغة « الصحيحة » المعبرة عن « الواقع » والممارسة « الثانوية » لـ دراسة ـ وشرح النصوص · وتفترض هذه التمارين « المبدعة » ظاهريا استعمـــال وتقليد النصوص الادبية) والممارسات الايديولوجية ، اي بين الممارسات الاجتماعية · وهكذا يبدو لنا أن سيرورة الانتاج الادبي تقوم على علاقة لا متكافئة (أو حسب منطق الشكـل المدرسي نفسه ، علاقة ملكية لا متكافئة) مناقضة لايديولوجيا بعينها : الايديولوجيـــا المسيطرة · لكن هذه العلاقة المتناقضة لا تستطيع البقاء لولا نضال الايديولوجيا المسيطرة المستمر من أجل الاحتفاظ بسيطرتها ·

---

١ ـ نعتمد في تحليل هذه النقطة على الفصل الاول والثاني من كتاب بوديلو وايستابليه : المدرسة الرأسمالية في فرنسا · باريس ـ ١٩٧٢ ·

(٢) لا نود هنا اضافة فصل جديد يعالج اللغة بواسطة علم الالسن او ان نعارض نتائج هذا العلم · كما لا نود ان نعارض علم اللسان « البرجـــوازي » بعلـــم لسان « بروليتاري » وهمي ، او نوغل في اللامعقول فنقيم معارضة ميكانيكية بين « لغـــة برجوازية » و « لغة بروليتارية » · مع ذلك ينبغي ان نقول بوضوح ان التحليل المستند الى علم الالسن الذي يتعامل مع موضوعه كما هو ، اي كما هو معطى له ، بدون الرجـوع الى الشروط التاريخية لتكونه لا يستنفد معرفة اثار اللغة ، فهو يغفل بشكل خاص ومستمر ما نصنفه هنا تحت مفهوم **الممارسات اللغوية** · وليس من شأننا هنا ان نقول فيما اذا كان هذا التغافل ايجابيا شرط امكانية علم الالسن ، او سلبيا هو الحد التاريخي والمـــادي لتطوره · فهذه مسألة علم الالسن وعليه ان يجد لها حلا ·